

تفسير البحر المحيط

@ 426 { الْقُوَى } . { عِنْدَ ذِي } : الكينونة اللائقة من شرف المنزلة وعظم المكانة .
وقيل : العرش متعلق بمكين مطاع . ثم إشارة إلى { عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ } : أي إنه
مطاع في ملائكة المقيمين يصدر عن أمره . وقرأ أبو جعفر وأبو حيوة وأبو البرهثم
وابن مقسم : ثم ، بضم الثاء : حرف عطف ، والجمهور : { ثُمَّ } بفتحها ، ظرف مكان
للبعيد . وقال الزمخشري : وقرء ثم تعظيماً للأمانة وبياناً لأنها أفضل صفاته المعدودة .
انتهى . وقال صاحب اللوامح : بمعنى مطاع وأمين ، وإنما صارت ثم بمعنى الواو بعد أن
مواضعها للمهلة والتراخي عطفاً ، وذلك لأن جبريل عليه السلام كان بالصفتين معاً في حال
واحدة ، فلو ذهب ذاهب إلى الترتيب والمهلة في هذا العطف بمعنى مطاع في الملاء الأعلى ، {
ثُمَّ أَمِينٌ} عند انفصاله عنهم ، حال وحيه على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لجاز
أن لو ورد به أثر انتهى . { أَمِينٌ } : مقبول القول يصدق فيما يقوله ، مؤتمن على ما
يرسل به من وحي وامثال أمر . { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْدُونٍ } : نفى عنه ما كانوا
ينسبونه إليه ويبهتونه به من الجنون .

{ وَلَقَدْ رَآهُ } : أي رأى الرسول صلى الله عليه وسلم (جبريل عليه السلام ، وهذه
الرؤية بعد أمر غار حراء حين رآه على كرسي بين السماء والأرض في صورته له ستمائة جناح .
وقيل : هي الرؤية التي رآه فيها عند سدره المنتهى ، وسمى ذلك الموضع أفقاً مجازاً .
وقد كانت له عليه السلام ، رؤية ثانية بالمدينة ، وليست هذه . ووصف الأفق بالمبين لأنه
روي أنه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس ، قاله قتادة وسفيان . وأيضاً فكل أفق في
غاية البيان . وقيل : في أفق السماء الغربي ، حكاه ابن شجرة . وقال مجاهد : رآه نحو
جباد ، وهو مشرق مكة . وقرأ عبد الله وابن عباس وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير
وعائشة وعمر بن عبد العزيز وابن جبير وعروة وهشام بن جندب ومجاهد وغيرهم ، ومن السبعة
النحويان وابن كثير : بطنين بالطاء ، أي بمتهم ، وهذا نظير الوصف السابق بأمين . وقيل
: معناه بضعيف القوة على التبليغ من قولهم : بئرطنون إذا كانت قليلة الماء ، وكذا هو
بالطاء في مصحف عبد الله . وقرأ عثمان وابن عباس أيضاً والحسن وأبو رجاء والأعرج وأبو
جعفر وشيبة وجماعة غيرهم وباقي السبعة : بالضاد ، أي ببخيل يشح به لا يبلغ ما قيل له
ويبخل ، كما يفعل الكاهن حتى يعطى حلوانه . قال الطبري : وبالضاد خطوط المصاحف كلها .

{ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ } : أي الذي يتراءى له إنما هو ملك لا مثل

الذي يتراءى للكهان . { فَأَيِّنَ تَذْهَبُونَ } : استضلال لهم ، حيث نسبوه مرة إلى الجنون ، ومرة إلى الكهانة ، ومرة إلى غير ذلك مما هو بريء منه . وقال الزمخشري : كما يقال لتارك الجادة اعتسافاً أو ذهاباً في بنيات الطريق : أي تذهب ؟ مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل . انتهى . { ذُكِرَ } : تذكرة وعظة ، { لِمَنْ شَاءَ } : بدل من { لِلْعَالَمِينَ } ، ثم عذق مشيئة العبيد بمشيئة الله تعالى . قال ابن عطية : ثم خصص تعالى من شاء الاستقامة بالذكر تشريفاً وتنبيهاً وذكرراً لتلبسهم بأفعال الاستقامة . ثم بين تعالى أن تكسب العبد على العموم في استقامة وغيرها إنما يكون مع خلق الله تعالى واختراعه الإيمان في صدر المرء . انتهى . وقال الزمخشري : وإنما أبدلوا منهم لأن الذين شاءوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر ، فكأنه لم يوعظ به غيرهم ، وإن كانوا موعوظين جميعاً . { وَمَا تَشَاءُونَ } الاستقامة يا من يشاؤها إلا بتوفيق الله تعالى ولطفه ، ما تشاءونها أنتم يا من لا يشاؤها إلا بقسر الله وإلجائه . انتهى . ففسر كل من ابن عطية والزمخشري المشيئة على مذهبه . وقال الحسن : ما شاءت العرب الإسلام حتى شاء الله لها . . .